



مكتبة 2000 الأسرة



المختار من شعر

عبد الوهاب البياتي

مكتبة مصر العامة للكتاب

ج ١

المختار من شعر
عبد الوهاب البياتي

« لوحة الغلاف »

اسم العمل الفني : بورتريه لسيدة اسبانية التقنية: زيت على توال

مقاس العمل: ٩ . ٧٠ . ٥x١٠٠ سم

محمود سعيد (١٨٩٧ - ١٩٦٤)

رائد التصوير الأول فى الحركة الفنية المصرية الحديثة التى بدأت أول القرن العشرين . مصور حاذق لايهتم كثيرا بالنسيج المساحى ، بقدر ما تعنيه الستاره الناعمة الضوئية للون فى العنصر المرسوم ، ذا فردانية وعذوبة وعافية ، جعلته متقبلا على أوسع نطاق بين النخبة المثقفة ، وعامة المتذوقين والمشاهدين على السواء .

وقد طرق محمود سعيد كافة الموضوعات دون أن يخالجه التردد ، فقدم عارياته من بين أنماط المصريات البلديات نوات الشفاه الغليظة ، والحدود المستديرة ، والصدر الملى ، والأفخاذ المكتنزه ، بنفس القدر الذى دعاه إلى رسم المراكب ذات الأشرعة على نهر النيل ، وكذلك جماعات المصلين الذين أسدل فوق ظهورهم ستائر الخشوع الصوفى حين اختار للوحة الشهيرة تلك ضوعها الدافى المعتم . وسوف يظل من الصعب على المدقق الواعى أن يرى محمود سعيد باعتباره فنانا وصفيا تقليدياً ، إذ أن تصاويره أمكن لها أن تجتاز الزمن حين فجرت القراءات الجديدة المتوالية يناعياً فى الحداثة جعلتها تحتل مكانا بارزا لايمحى فى حركة الفن المصرى الحديث جميعه.

أحمد فؤاد سليم

**المختار من شعر
عبد الوهاب البياتي**

إعداد وتحرير: د. سمير سرحان

د. محمد عناني



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الروائع)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكادر ..

المختار من شعر

عبد الوهاب البياتي

إعداد وتحرير:

د. سمير سرحان

د. محمد عناني

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان : محمود الهندي

المشرف العام :

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة، تلك الصيحة التي أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة»، والذي فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً في حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً وإقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» في «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذي تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير السرحان

تصدير

رحل عبد الوهاب البياتى عن دنيانا وأصبح فى ضمير التاريخ ، علما من أعلام الشعر العربى الحديث - سمّه إن شئت شعر التفعيلة أو الشعر المرسل - وإن كان ، كما تبين هذه المجموعة ، من المجددين فى شكل القصيدة العربية كلها لا فى الوزن والقافية فحسب ، وسوف يجد القارئ فى هذه المختارات المرتبة فى معظمها (أى باستثناء القصائد الأولى فقط) وفق التسلسل الزمنى لكتابتها ، خط تطور واضح فى الشكل والصور والأفكار ، وهى تمثل فى رأينا أهم اتجاهاته الفنية والفكرية على امتداد ما يربو على ثلاثين عاماً ، تحول فيها وجه الشعر العربى تحولاً لم يعد أحد يجادل فيه .

ويعتبر عبد الوهاب البياتى - مع صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجارى وبدر شاكر السياب ونارك الملائكة - من رواد شعر التفعيلة ، وإن كان ذلك الوصف الذى أطلق على هذه الموجه الأولى لا يوفىها حقها كاملاً ، فالتجديد الذى أتوا به لم يقتصر على هجر الشعر العمودى وإن كانوا جميعاً قد كتبوه ، بل تعدى ذلك إلى تعبيد الطريق

للجيل التالى من الموهوبين الذين طوروا شكل القصيدة وأسلوب معالجة الموضوعات بل والموضوعات نفسها حتى وجدنا أنفسنا ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين على أعتاب شكل ثابت للقصيدة الجديدة، يندر أن تتوحد قوافيها ، ويندر أن تتسم بانتظام الإيقاع وإن انتظم وزنها ، ويندر أن تعالج «أغراض» الشعر الراسخة القديمة ، وأصبح ثبات الشكل نفسه سمة مميزة وجد فيها البعض قيذا فحاول أن يكره ، فأغرق بعضهم فى التجديد جاعلاً الانتظام عدوه الأول ، فأسماه الرتبة ، وجاعلاً القافية عدوه الثانى فأدخل فيها تنويعات كثيرة ، وإن كان الاتجاه الوجدانى ما يزال المغالب على هذه المحاولات كلها ، مع ما يمكن أن نسميه وحدة القصيدة (شعوريا) وتماسكها (من حيث المبنى) وجدة الصور (التي بلغت عند البعض حدوداً مبالغاً فيها من التغريب) .

وسوف يلحظ قارئ هذه المجموعة دون شك إشارات إلى أحداث السنوات الحافلة التي كتبت فيها القصائد ، وسيلمح بذور استلهاهم التراث والثورة على بعض جوانبه ، مع نغمات مستقاة من رومانسية ناجى وطه ، وسوف يجد كيف تطور البياتى على امتداد رحلته الشعرية حتى كاد أن يلتقى مع رواد « الموجة الثانية » من الشعراء المحدثين ، فهو يثور فى سنوات نضجة لا على وحدة القافية فقط بل على وحدة الوزن ، ويكفى أن ننظر إلى قصيدة أطلق عليها عنوان « إليها » فى هذه المجموعة لكى نرى كيف يتحول من البحر الطويل إلى الرجز ثم إلى النثر إلى الخبث

ثم إلى النشر ! ويكفى أن ننظر إلى تحوله من القصيدة الطويلة إلى القصيدة ، حتى يصل في رحلته إلى الإيجرام ، وهو الفن الشعري الذي يندر أن يطرقه حتى كتاب ما يسمى بالشعر المنشور (وما أبدعه عز الدين إسماعيل في أحدث ديوان له **دمعة للأسى .. دمعة للفرح**) والواقع أن التنوع في الشكل الذي يلحظه قارئ ديوان البياتي لا يجاريه التنوع في المعجم الشعري له ، فهو من البداية إلى النهاية ملتزم برؤى تفرض عليه أطراً من المادة الشعرية التي أصبحت تنتمي - مع بعض أشعار أصحاب «الموجة الأولى» - للتاريخ . ولقد حاولنا تمثيل ذلك التنوع ، وتمثيل أهم مشاغله الفكرية والوجدانية ، واثقين من أن هذه المجموعة سوف تظل نموذجاً حياً لشعر ذلك الشاعر المبدع . .

والله من وراء القصد ،

مكتبة الأسرة

١- إلى إخواني الشعراء

يا إخواني : الحياة

أغنية جميلة ، وأجمل الأشياء :

ما هو آت ، ما وراء الليل من ضياء

ومن مسرات ومن هناء .

وأجمل الغناء :

ما كان من قلوبكم ينبغ من أعماق

شعوبنا الراسخة الأعراق

وأرضنا الطيبة الخضراء .

فلتَلْغوا الظلامُ

وصانعي المأساة والآلام

ولتمسحوا الدموعُ

وتوقدوا الشموع

فى وحشة الطريق للإنسان

*

يا إخوانى : الحياة

أغنية جميلة ، مطلعها الدموع والأحزان

*

٢- أغنية من العراق إلى جمال عبد الناصر .

باسمك في قرينا النائبة الخضراء

في العراق

في وطن المشائق السوداء

والليل والسجون

والموت والضياء

سمعت أبناء أخي ، باسمك يلهجون

فدى لك العيون

يا واهب الربيع للقفار

ومنزل الأمطار في قرينا الخضراء

باسمك يا جمال

سمعت أبناء أخي القليل

- في رصاص

عصابة الأذناب

فى العراق -

سمعتهم باسمك يلهجون

فدى لك العيون

يا صانع السلام والرجال

يا جمال

وواهب العروبة الضياء

ومنزل الأمطار فى صحراء

حياتنا الجرداء ، يا رجاء

عالمنا الجديد

وفجرنا المعذب الوليد

*

٣- كلمات مجنحة إلى الكتاب المصريين

حين تنمو الكلمات الطيبة

فى قلوب البسطاء

كالبكاء

تشرق الشمس على أسوارك المنتحبة

وتطير الأغنيات

كالسنونو فوق أرض المعركة

يا قميص الدم

يا ثورتنا المشتعلة

يا قناديل حياة مقبلة

يا شعارات رفاقى الظافرة

لك قلب القاهرة

لك - مذ أيقظه الحب - يغنى

للملايين الحزينة

وهي تصحو - بغتة - من نومها
وتروى أرضنا في دمها
أرض « زهران » ومبكى « أم صابر »
ووشاحاً أحمرأً للنيل ملقى فوق شاعر
حطمت قيثاره بالأمس أيدي الغجر
ورياح الضجر
يوم كان الفن يستجدي على أبواب « كسرى »
خجلاً عريان ، لا يملك أمراً
غير أن يبكي ويبكى
بين ماخور وملك

*

لك يا أرض الأسى والمعركة
والهوى والكلمات الطيبة
ولأبنائك حبي

١٩٥٦

*

٤- بورسعيد

على رخام الدهر ، بورسعيد

قصيد مكتوبة بالدم والحديد

قصيدة عصماء

قصيدة حمراء

تنزف من حروفها الدماء

تهدر في رويها المنتصر الجبار

صيححات فجر الثار

تطل من أبياتها بنادق الأنصار

وأعين الصغار

*

على جبين الشمس ، بورسعيد

مدينة شامخة الأسوار

شامخة كالنار
كالإعصار
فى أوجه اللصوص
لصوص أوروبا من التجار
من مجرمى الحروب
وشاربى الدماء
عبر جدار الموت ، بورسعيد
صامدة كالبحر
لا تنام
يخوض فى ساحاتها السلام
معركة الحياة
تحرسه بنادق الأنصار
وأعين الصغار

*

٥- قصيدتان إلى صلاح جاهين

-١-

الصيف الأخير

ألف رؤيا عبرتُ
فى جوع صحرائك خبز الآخرين
ذهب الموتى وعاد الميِّتون
لا تُجرِّحُ وجنة الحرف الحزين
إنها الشمس ، وها أنت مع الشمس وحيدُ
فى سهوب الآخرين
لوعةُ الأمسِ
وأشعارك
أنهار الصَّبَابات ، بكاء العائدين
نُهبَتْ
حتى صباح الياسمينُ
ديس بالأقدام

داستهُ خيول الفاتحين

قطرةُ الماءِ

سواقى الليلِ

نهر الهائمين

جَفَّ

فالصحراءُ قَبْرٌ ، لا تُجْرَحُ وجنةُ الحرفِ الحزين

إنه الصَّبَّارُ والصَّخْرُ صَمَتِ الآخرين

إنه البابُ الذى يحرسه التَّيْنُ فى صيفِ السنين

عطشى نهر الحنين

وينابيع اليقين

لا تدقّ البابُ ، فالحرفُ ضنين

هارب أنت ، وها أنت سجين

تذرع الصمت ، تنادى الميَّتين

كلهم ماتوا !

سهوب الصيف غصّتْ

بقبور الميتين

آه لا تنزع قناع الفارس الميّتِ
ها أنت مع الشمس حيدُ
في سهوب الآخرين

-٢-

الجرح

كلما عدتَ من المنفى
التقت عيناك بالجرح القديم
قبّة الليل البهيم
وقناديل الطفولة
والفراشات وأعراس النجوم
وطواحين الهواء
تملأ الليل بكاء
كلما عدتَ رأيت الجرح في نفس الرسوم
صيحة الديك ونيران القبيله
ضوأت وانطفأت فهي رماد في الأصيل
ومناديل رحيل

عبر باب المستحيل

كلما عدت رأيت الجرح فى عين الدليل

إنه الجرح القديم

أبدأ تحمله فى ليل أوروبا البهيم

إنه الجرح الذى حطّم قلب السندباد

إنه نفس الرماد

يملاً الكأس التى تشرب منها

آه حدثنى عن البحر وعنّها

أيها المنفى حدثنى ، ولا تطفىء شموعك

آن أن تنشر فى الفجر قلوبك

آن أن تحرق جرحك

آن أن تغرز رمحك

فى فم التنين ، فى الجرح القديم

*

٦- بكائية إلى صلاح جاهين

كانت أعواماً جاحدة
فى ليل شتاء العرب القاسي
كانت أعواماً جوفاء
فيها مُسِحتُ ذِكرَةُ الإنسانِ
ومات الشعراءُ
وامتُهن الفكرُ
وديست أحلام الفقراء
فيها سُمِّمت الآبار
وطفت جيف الكتاب المأجورين
وصاروا وعاظاً فى الصحف الصفراء
فيها انهزم الثوار
صاروا أيتاماً ورعايا
فى زمن البترول / الشيطان

في ليل شتاء العرب القاسى هذا
كان صلاح
يذوي في صمتٍ ويموت ببطءٍ
ويجرجر أذيال الغربة
في دائرة الضوء
ويُخفي خيبته في ضحكة طفلٍ
فاجأه موتُ النورِ
وبرد السنواتُ
فبكى مثل الرجل / الطفل المخدول ومات

٢٧ - ٥ - ١٩٨٦

*

٧- برعم

أخاف على الورد من جارحيه
ويجرحني في الهوى برعم
ويزكو فيلثمه السارقون
ويحرم عن لثمه المغرم
وتجرحه خائنات العيون
وعـيـني له أبداً بلسم

*

وأبكي وأبكي لعل دموعي
إذا لاسمت جرحه ييسم
وأحنو عليه كأم رؤوم
وأكتم حبي فلا يعلم
وينفـر مني كظبي ودبع
أحساق به صائد مجرم

وإني عليه ومنه أخاف
فأقتل في الصمت ما أكتم
وأطوى إليه صحارى الحياة
يمزقني سرى المبههم

*

على طلل الذات منى بقايا
تشدد الجراح ولا تُهزم
إذا أسر العاشقون الهوى
فإني إلى الحب أستسلم

*

وأقطع ليلي أنادى النجوم
وليلي من قلبه أرحم
أنادى فتغمرنى الذكريات
ويغمرنى موجهها المظلم
وتعصف بي عاصفت الردى
فأرنبو إليه وأسترحم

*

وإبكي وأبكي لعل دموعي
إذا لامست جرحه ييسم
وأحنو عليه كأم رؤوم
وأكتم حبي فلا يعلم

*

٨- لقاء

عيناك باسمتان مثل بنفسج يتفتح

في الغاب . . . في الليل العميق

في معبد الحب السحيق

حيث السعادة لا تنام

إلا على سرر الغرام

حيث الأزاهر لا تفيق

إلا على همس الطريق

عبري يبللها الندى

حيرى أيقظها الردى ؟ . . .

في صحوة الفجر الجميل

من غصنها النامي البليل

*

إطراقة حيرى يظللها لقاء عابر

كلقاء أبناء السبيل

فى ظلمة الليل الطويل

يتسكعون بلا رجاء . . .

ويضربون بلا عزاء

فى مهمه خاو رهيب

فى عالم الصمت الكئيب

حيث العواطف تستحيل

ضربا من اللغو الثقيل

والدمع والظل الظليل

ما الدمع ؟

هل يروى الغليل ؟

شفتاك راجفتان مثل نحواطرت

إذ نرجنت

كأدت ههمنت بالهزال

وكانها قالت .

تعال !

الليل يهمس والسكون

والنهر والموج الحنون

وجوارحى النشوى :

تعال !

إنى عشقتك فى الخيال

من قبل كنا أو نكون

من قبل أن تصبو العيون

النهر يهمس والظلال

وكأنها قالت :

تعال !

*

شفتاك ظامئتان مثلى للهوى تتلهف

لكن أنا

من قد أكون ؟

أأصاب أوهامى الجنون ؟ ...

لا ...

لن أجيب ولن أعود
وأستجيب إلى الوعود
ماضى أغفى واستراح

لا ...

لن أعود إلى الصباح
لكن سألتك من أكون ؟
فهناك غيرى فى الدجون
يهفو إليك ...

أسمعين ؟

نجواه

فى الريح الحزين

*

٩- عيونك الخضر

عيونك الخضر التي أترعت
جامى بخمر الألم المبدع
أمواجهها ما برحت تلتقى
كأنها ينبوع فى أضلعي
أحسها فى لهفتى ، فى دمي
فى خفقات القلب ، فى أدمعي
كأنها أظلال صفصافة
على مرايا جدول مسرع
ظللت أستدنى على بوحها
خيالك النائي ولم أهجع
وهمت كالريح بلا مامل
من بلقع خـاو إلى بلقع
تفجأني ذكراك مذعورة

وتلتقى عيناك فيها معى
أقول إن مرت بقايا هوى
حسناؤه ولت ولم ترجع :
« غداً ! غداً » يا ويلتا من غد
يا ويلتا من غدى المفجع
« غداً » يعد الحب فى عودها
ويرتوى من نبعها بلقى «
والتقى بالغد لكن بلا
وعد ولا لقيا ولا منبع

*

عيونك الخضراء وإن أذبلت
وردى فجف العطر فى مربعى
مازلت فى أمواجهها برعماً
تلهمنى فى الحب ما لا أعى
كأننى أسطورة فى الهوى
وأنت من أربابها الهجج

هذى قـرابينى لما تزل
فى ديرك المهجور لم ترفع
غدى وأمسى بعض أغلالها
وبعض ما جف من الأدمع

*

١٠- غيوم الربيع

يا غيوم الربيع هذا فضائي
موحش يسكب الملال علياً
وغطاء الظلام يثقل روعي
فيغيب الوجود عن مقلتيأ
وخفوق السكون يرهق حسي
ويُنْدِي بهمسهُ مسمعيأ

*

يا غيوم الربيع هذا فؤادي
في جحيم الهدوء للصمت يشكو
شرب العاشقون في الحب خمري
ونصيبى من خمرة الحب شك
أَلْهَمْ خمرتى ولى عبراتى
ولقلبي البكا وللناس ضحك !؟

يا غيوم الربيع هذا فؤادى
فى جحيم الهدوء للصمت يشكو

*

يا غيوم الربيع هذى دموعى
فى دروب العشاق ضاعت هباء
مثل نجم فى البید يهدر ضوءاً
من سماواته إذا ما أضواء
أو كزهر ذوى وضاع شذاه
قبل أن يرثى الربيع الشتاء
يا غيوم الربيع هذى دموعى
فى دروب العشاق ضاعت هباء

*

يا غيوم الربيع هذا ربيعى
الحنين المجهول أهرق جامه
والفراغ الذى يجوع فيعوى
سدّدت كفه إلى سهامه

فأصابت منى ومن كبريائي
وأهالت على الجراح حطامه
يا غيوم الربيع هذا ربيعي
الحنين المجهول أهرق جامه

*

يا غيوم الربيع صبي دموعاً
فوق صحراء عمري المهجوره
أحرقى الشوك والرمال وصوني
زهرات في صمتها مقبوره
زهرات لو جادها الغيث يوماً
لبكى الروض من حياء زهوره
يا غيوم الربيع صبي دموعاً
فوق صحراء عمري المهجوره

*

١١- أغنية

فى البرعم الغافى وفى الهدب المبلل بالدموع
فى الصمت فى الأحلام فى الشفق المخضب فى الربيع
روحى تفر - إليك - منى
ثملى يجنحها التمنى
وإذا أفقت وأنت عنى
فى معزل أنا بسجنى
رجعت إلىّ تقول : غنّ
مازلت نشوان الخواطر تائها
فى الوهم أضرب كالفراش الحائر
ماضىّ يجذبني إليك بلهفة
ويكاد فى عينيك يشعل حاضري
ويهز فى أعماق روحى صورة
هى سر أحلامي وفرحى خاطرى

لولا سناها ما عرفت حقيقتي
ونشيد إنشادي وكنه مشاعري

*

حيناً أرى روحاً كروحك في البهاء وفي البريق
فتهيم أحلامي بها وبوجهها الصافي العميق
وما تكاد تغيب عني
في ليل أوهامي وظنّي
حتى يعاودني التمني
ينتاش ما أبقيت مني
فأصبح من أعماق سجنى
حـيـنـاً وآونة أغنى

مازلت أحلم باللقاء ولايني
روحي يرف لكل طيف عابر
كم يقظة لي في الهوى بددتها
في زهد صوفي وعفة شاعر

فَكَأَنِّي أَحْبَبْتُ حُلُمًا ظَامئًا
وَسَدَّتْهُ وَغَدَوْتُهُ مِنْ خَطَايَا طَرِي
حَتَّى إِذَا رَاجَعْتَ أُمْسِي لَمْ أَجِدْ
إِلَّا بِقَايَا دُمْعِي الْمُسْتَنَاطِرِ

*

١٢- وكيف أطيّر

هبوباً هبوباً لعلّى أطيّر
لعلّى أنسى هواها المرير
لعلّى أنسى صباح الهوى
وخضر العيون وليل القبور
لعلّى أنسى رمانى الشقى
ويبرح روحى مكانى الوعير
وكيف أطيّر وأنت الجناح
وأنت الخفوق وأنت الغدير ؟
وحبى السجين أضياء السماء
وحبى المرير غرامى الأخير ؟
فلا تسألى فى الهوى من أكون ؟
ولا تسألى فى الهوى ما المصير ؟
أأبكى وفى قبضتى اليراع

يخيف الظلام ويدمى السطور
وفي شففتي هدير الحياة
وفي مسمعك بقايا الهدير ؟

*

سأضحك يا ليل حتى أموت
وحتى يموت هواها المرير

*

١٣- من تراها

يا سنا الله بصرًا انتظاري يا هواها
أنت فجر رائع الألوان إن ليلى تناهى
وجراح قبست من لمعة النصل سناها
الليالى السود لم تدرك - وإن طالت - مداها

*

من تراها

أنا لا أعرف ويحي من تراها ؟
همست فى مطلع الفجر وقد ضاع صداها
أيها الفجر الذى ذابت به ، أين أراها ؟
أنا سهيران وفى عيني لهيب من جواها
وعلى ثغرى بقايا رشفات من لماها
وبقايا حلم أوغل فى النور وتاها

*

من تراها ؟

أنا لا أعرف ؟ ويحي من تراها ؟
همست فى مطلع الفجر وقد ضاع صداها

أيها الغاب الذى مرت به أين شذاها ؟
ما لأرهارك هل أخفت عن الزهر أساها ؟
الليل الشهل والأنسام تبكى وهواها
صامت يبكى وقد يبكى انتظارى لو رآها

*

١٤- أنا يا رماد

أنا يا رماد بـقـيَّة	من نارها فخذُ البـقـيَّة
هل بعد أن داس الخـريـب	ف زنا بـقى تبكى عليـه
وتحور أشواقى دماً	متوهجاً فى أصغريـه
أسقاها أوهاماً فلا	أسقى سوى خمـر المنيـه
فأموت كل هنيهة	وأعود للدنيا الشقيـه
لا نخلٌ يفهمنى ولا	تُصغى روى نفسى إليـه
لا شىء إلا واحـدة	خضراء فى حلك العشيـه
الأفق يحجبها فلا	تبدو سوى عينٌ بكـيـه
شرب الرماد دموعها	فتنهدت تلك البـقـيـه

*

١٥. ظمآن

ظمآن للألوان والعطر	وللغرام العاصف المر
لخمرة يصرعني وهمها	لغير ما في الخمر من سكر
إلى أب حان وأم لها	أبث همى دون ما عسر
لقبلة مشبوبة نارها	تحرق ما يلمسه ثغرى
لمنصت أفضى له مسهباً	ما لست أدريه وما أدري
لضحكة مجنونة أرتمى	من بعدها ميتاً من الذعر
ظمآن للرى وما حيلتى	والجذب عقبى حبى العذرى
سيزيف قد كان لم يزل	يهم بالشكوى ولا يحرى
ترمقه عن كذب حسرة	غوارب الأمواج فى البحر
والنجم من عليائه ساخراً	يرمقه بالنظر الشر
وهو على صخرته منحني	تهوى به من قمة الدهر

*

ظمآن للموت وما ضرني	إن مت مطوياً على سرى ؟
---------------------	------------------------

*

١٦- أحلام شاعر

وما ذلك الحالم المنزوى
بصومعة الفكر إلا خيال
يحس صوت الحياة البغيض
يناديه فى قسوة أن تعال
فيمعن فى حلمه ساخرأ
بأطرافها الشاحبين الثقال
بمهزلة قيل عنها الشروق !
بأفكوهة قيل عنها الزوال !

*

لياليه فجر ومن صمتها
يحوك الأغانى . . أغانى الغزل
ويحيا على قبل من خيال
ويثمل منها كأشهى القلب

وأحداقه فى الهزيع الأخير
ترى ما يراه بضوء الطفل
وتخترق الغيب والمنتأى
بأجنحة من لهيب الأمل

*

وإن رقص الفجر بين التلال
ومرت يدها على الصومعة
وهومت الأعين الساهرات
على وقع أقدامك الموجهة
ورددت الأرض يا شاعرى
علام الركون لهدى الدعة
تعال مع الريح بين التلال
تعال مع الموت والزوبعة

*

تعال نُشيد بأحلامنا
على شاطئ الحب كوخاً جميل

نوافـذه من دموع الضـحى
وأستـاره من لهـاث الأصـيل
ومـوقـده قـبـلُ يـصـطـلى
عليها مـلاك هـوانا النبـيل
فنسى الوشاة وما أرجفوا
علينا ونسى التـراب الذليل

*

ألا من سبـيل ؟ ألا من خـدين ؟
يقنود خطاي لكـوخي البـعيد
أأقـضى وهذا القطيع البليـد
سـيـد فـننى فى ثراه البليـد
ويبكى على بـسـطـع سـطـور
مشـوهة كـأغـاني العـبيـد
ويسلم فـكرى وإبـداعـه
إلى جـدث بارد من جليـد
وفى الجـزر النائـيات التى

تلوذ بها آلهات البحر
ويكتنف الليل غاباتها
ويحجب عنها ضياء القمر
سيسمع الحانى الصائدون
تغنى بها الريح بين الشجر
فتخشع أبصارهم هيبة
لروح خفى أهاج الذكر

*

وفى احنة الحب حول القلب
وتحت ظلال النخيل الحزين
سيسمع أصداءها العاكفون
على وحشة البيد والذاهلون
فتهمس «لبنى» إلى «قيسها»
ألا فى الهوى كل شيء يهون ؟
ويكى السراب على شاعر
وراء السراب أطال الحنين

*

وفى ظلمات الخريف الكئيب
وحول لهيب الشتاء الطويل
سيقراً ديوانى الحالْمون
وينشد شعري هزار الحقول
فيهتف فى سره عاشق
ألا ليتنى مثل هذا أقول
وأما التى فى ثلوج الهوى
فتسأل حيرى وماذا تقول !

*

١٧- سارق النار

داروا مع الشمس فانهارت عزائمهم
وعاد أولهم ينعى على الثانى
وسارق النار لم يبرح كعادته
يسابقُ الريحَ مع حانٍ إلى حان
لم تزل لعنة الأباء تتبعه
وتحجب الأرض عن مصباحه القانى
ولم تزل فى السجونِ السودِ رائحةٌ
وفى الملاجىء من تاريخه العانى
مشاعلٌ كلما الطاغوت أطفأها
عادت تضيءُ على أشلاءِ إنسانٍ
عصر البطولات قد ولّى وها أنذا
أعودُ من عالم الموتى بخذلانٍ
وحدى احترقتُ أنا وحدى ا وكم عبرت

بِىَ الشَّمْسُوسُ وَلَمْ تُحْفَلْ بِأَحْزَانِى

إِنِّى غَفَرْتُ لَهُمْ

إِنِّى رَثَيْتُ لَهُمْ !

إِنِّى تَرَكْتُ لَهُمْ

يَا رَبُّ أَكْفَانِى !

فَلْتَلْعَبِ الصَّدْفَةُ الْعَمِيَاءَ لَعِبَتْهَا

فَقَدْ بَصَقَتْ عَلَى قَيْدِى وَسَجَّانِى

وَمَا عَلَى إِذَا عَادُوا بِخَيْبَتِهِمْ

وَعَادَ أَوْلَهُمْ يَنْعَى عَلَى الثَّانِى

*

١٨- ربح الجنوب

عينُ السجينُ

من قبوه الأرضى ، للنجم الحزين

من قبوه الأرضى تضرع - والمصيرُ يروعه - عينُ السجينُ

وشذا الخمائلِ والصخورُ

وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوبُ

بعدَ الغروبُ

تأوى إلى برج المدينة والقوافلُ والدروبُ

الليل أدركها ، وللنجم الحزين

عين السجين

من قبوه الأرضى تضرع ، والمصيرُ

والليل والنجم الحزين على الغديرُ

الريح تطمسه ، وفى القفر الوعيرُ

كنا نسيرُ

كانت قوافلنا بلا نجم ، وقد كنا نسيرُ

ما كانَ لا ، عبثاً يكن
لا ا لن يكونُ
كلماتنا ستدكُ جدرانَ السجونُ
وتضئ للموتى منارلهم وتكتسح الطغاةُ
بحروفها المتوهجات
كلماتنا ا ما كان لا ، عبثاً يكونُ
يا أرضُ ، يا أمّ الجميع ، ستهرمين ! ولا يكونُ
ما كان ، يا أمّ الجميع ، ستهرمين ! ولا يكونُ
كانت قوافلنا بلا نجم ، وقد كنا نعيد
صلواتنا الخرساء للصبح البعيد
كنا نُعيدُ
صلواتنا ، يا أمّ ، للصبح الجديد
ووراءنا تعوى الكلاب ، ومن بعيد
أرضُ العبيد
كانت تلوح كما نريد
البرجُ فيها مائلٌ ، والأفق تصبغه الدماءُ
كنا ظمأُ
حتى نسينا أننا كنا ظمأُ
وعلى رصيف المرفأ المهجور ، كانت غمغماتُ

أطفالنا ونسائنا المتهللات
حتى نسينا أننا كنا عراة
يا أمّ ! عاد أتسمعين
نجواه في الريح الحزين
وتفرّ من عين السجين
بعض الدموع
وشذا الخمائل والصخور
وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوب
ليوتنا تأوى ومن نائى الدروب
أصداء قافلة تغنى ، إنها : ريح الجنوب
وشذا الخمائل . . . إنها : ريح الجنوب
يا أمّ ! عاد أتسمعين
وتفرّ من عين السجين
بعض الدموع
فى الدروب
أصداء قافلة تغنى ، إنها : ريح الجنوب !

*

١٩- انتظار

صلى لأجلى !

عبر أسوار

وطنى الحزين ، الجائع ، العارى

وعلى رصيف المرفأ انتظرى

- يا كوكبى السارى

وحديث سمارى -

قلبى مياه البحر تحمله

تفاحة حمرا . . . كذكاء

وعبير أذار

ورفاق أسفارى

يتلمسون طريق عودتهم

ورسائلى وأبى وأرهارى

وكلبنا الضارى

يعوى ، وعينا شيخ حارتنا
مصلوبتان على لظى النار
وشجيرة الليمون يسرقها
مهما تعالت ، صبية الجار
... وكقُبَرَاتِ الصبح ، هائمة
والموتِ والثارِ
ستظل أفكارى
تعلو وتعلو عبر أسوارِ
وطنى الحزين ، الجائع ، العارى
وأنا وأطمارى
فى غربَةِ الدارِ
وحدى بلا حبٍّ وتذكاري

*

٢٠- الأئسير

يا ملاكى الصغیرُ
والبكاءَ المـریرُ
والطریقَ الأخیرُ
یا ملاكى الصغیرُ
عشبةٌ فی الهجیرُ
باللظى تستجیرُ
فی انتظار المصیرُ
الضمیر الضمیرُ
لن تعودَ النسورُ
فالترابُ الحقیرُ
یا ملاكى الصغیرُ
« بعد كد المسیر »

هل عرفتَ الألمُ ؟
والهوى والندمُ !
وخبیثَ السأمِ !
هل عرفتَ الألمُ ؟
لَعَنَتْهَا الدیمُ
والسرابِ الأصمُ
أطرقت ثم لم ...
- یا لكذبِ الرّمم -
زیفته القیمُ
فما هزأى یا قـمم
عند موتی الذمم
بطلٌ أو صنم
هل عرفتَ الألمُ ؟
كَمْ تراءتُ حُممُ

لعيون الأسير	فى صحارى العدم
وخطايا غدير	ورؤى لـم تنم
وجناح كسير	وبقايا نغم
	ليس بعد الظلم
غير وادٍ وعير	وغبار القدم
ورماد المصير	وفراغ ودم
	وثلوج القمم
يا ملاكى الصغير	هل عرفت الألم ؟

*

٢١- السجين المجهول

عبرَ بابِ السجنِ ، عبرَ الظلماتِ
كوخنا يلمع فى السهل ، وموتى ، والنجومُ
وقبورُ القريةِ البيضاءِ ، والسورُ القديمُ
وقيودى وهواها
وطواحينُ الهواءِ
وبطاقاتُ البريدِ :
يا رفاقى فى الطريقِ
عبر باب السجن ، غنّوا ، يا رفاقى
لم يزل عالماً يحفل بالخير ، وبالحب العميقِ
يا رفاقى ، والنجومُ
وطنين النحل فى مقبرة القرية ، غنّوا
والعصافير إلى سُرُوتنا الخضراءِ ما زالت تَحَنُّ
لم يزل عالماً أروعَ ممّا

حدّثونا عنه ، ممّا صوّروه
فى الأساطير لنا ، أروع ممّا صوّروه
لم يزل يحفل بالخير ، وبالحب العميق
يا رفاقى فى الطريق
ومسرات ليالينا العميقة
والطواحين العتيقة
عبر باب الليل ما زالت ، وما زلت بسجنى
سنواتٍ أربعٍ مرت ، وما زلت بسجنى
ورفاقى يحرثون الأرض فى الشرق البعيد
وأنا ما زلتُ فى السجن ، أغنى
وقيودى وهواها
وبطاقات البريدِ

*

٢٢- ذكريات الطفولة

بالأمس كُنّا ، آه من كنا : ومن أمس يكون
نعدو وراء ظلالنا . . . كنا ، ومن أمس يكون
لا نرهب الصمت الذى تُضيفه أشباحُ الغروب
فوق الحدائق والدروب

لا نرهب السور الذى من خلفه يأتى الضياءُ
ولربما مات الضياء ولم يعدْ ونقول : « جاء ! »
كنا نقول كما نشاء

حتى النجومُ

كنا نقول بأنها - كانت - عيونُ

للأرض تنظر فى فنون

حتى النجوم

كانت عيون

لا نعرف « الشئ الصغير » ولا نُصدّق ما يقالُ
ولا نزال

لا نعرف الشيء الصغير ولا نصدق ما يُقالُ
ولربما كنا نحدّق في الفراغ ، ولا ننام
وفي الظلام

مأوى العفاريت الضخامُ

كانت مدائننا الجديدة في الظلام
بمنارل الأموات ، أشبه ، أو قرى
النمل - ... الجديدة في الظلام -

كانت مدائننا تقام

وفي الظلام

كنا نُحدّق في الفراغ ، ولا ننام
الا على أصوات عالمتنا المقوض ، والعبيدُ
يتسكعون ، ومن جديد

يستقبلون - هناك - طاغيةً جديد

وخيولنا الخشبية العرجاء ، كنا في الجدارُ
بالفحم نرسمها ، ونرسم حولها حقلاً ودارُ
حقلاً ودار

ونُطار القطط الهزيلة في الأرقّة بالحجار

وإلى « الحبيبة » كان يدفعنا ، ويدفعنا الحنين

فى بيتها نقضى أماسينا الطويلة حالمين

كما لخفق نعالها الفضى ، نُصغى ساهمين

بعد المساء ، وبعد حين

وتثور أحقادُ السنين

فنعود ، نبحث فى بقايا الذكريات عن الحياة

الأمس مات

الأمس مات

لم يبق حول « مدينة الأطفال » إلا ما نشأ

إلا السماء

جوفاء ، فارعة ، تحجر فى مآقيها الدخان

إلا بقايا السور والشحاذ يستجدى ، وأقدام الزمان

إلا العجائز فى الدروب الموحشات

يسألن عنا الغاديات ، الرائحات

ولربما مّرت بهن . . . بهن هذى الذكريات :

«السور» و«الشحاذ» و«الطفل الذى بالأمس مات»

*

٢٣- تمت اللعبة

تمت اللعبة ، لا جدوى

وها نحن انتهينا !

لا تقولى ! « معك الحب »

متى كان ... ! وأينا ؟

لا تقولى : « حظنا شاء » وداعاً ! فإلينا

ينظر (البئذق) فى خوف و (صمتى) و(انتهينا)

دمية ألقى بها طفل ، بعيداً عن يدينا

قدر كان وراء الغيب ، يلهو بانطلاقى

آه لو حطمت مصباح الهوى ، قبل احتراقى

وافترقنا قبل أن يخبو اللظى ، قبل العناق

ليت لا كان التلاقى !

أى جدوى من حياتى ؟

والجماد البارد الغمور لم يحفل بذاتي

أي جدوى من حياتي ؟

و (انتهينا) دفنت أشلاءها في أغنياتي

وغداً يفتح اللعبة عشاق سوانا

فيرون البيدق الخائف لا كان هوانا

عبثاً تبكين يا بلهاء ما ليس لدينا

تمت اللعبة ، لا جدوى

وها نحن انتهينا

*

٢٤- فى المنفى

المسجد المهجور ، والليل الموشح بالنجوم

تتأهب الأشباح فى أبعاده ، ويحوم بوم

طلل وبوم

ولهيب تنور ، تراقص فى وجوم

- ماذا تروم ؟

منى ومن طल्ली سدوم !

الشوك يورق كالصنوبر والكروم

إن باركته يد رؤوم

-- ماذا تروم

نعشى ستحملة الرياح مع الغيوم

عبر القفار ، مع الغيوم

وأنا وأحلامي الكسيحة والنجوم

الشوك والأموات والطلل المصدع والنجوم

نبكى ونضحك ثم يدركنا النهارُ
فلنوذ في ظل الجدارُ
عبثاً نحاول - أيها الموتى - الفرارُ
اليوم تنعب والدروب الموحشاتُ
على انتظارُ
نبقى هنا ؟ يا للدمارُ !
اليوم تنعب في احتقارُ
بالأمس كان لنا علي القدر انتصارُ
كان انتصارُ
واليوم نخجل أن يرانا الليل في ظل الجدارُ
هذى القفار ، بلا قرارُ
الليل في أودائها الجرداء ، يفترش النهارُ
نبقى هنا . . ؟ يا للدمارُ !
عبثاً نحاول - أيها الموتى - الفرارُ
من مخلب الوحش العنيدُ
من وحشة المنفى البعيدُ

الصخرة الصماء ، للوادي ، يدحرجها العبيدُ
(سيزيف) يُبعثُ من جديد ، من جديدُ
في صورة المنفى الشريدُ
- ماذا تريدُ ؟

« القمح من طاحونة الأسياد يسرقه العبيدُ »
- ماذا تريدُ ؟

« الورد لا ينمو مع الدّم والحديدُ »
طلل وبيدُ

تقضى بقية عمرك المنكود فيها تستعيدُ
حلماً لماضي لن يعودُ !

حلم العهود الذابلات مع الورودُ
كانت حياتك من جليدُ

ولتبقَ - رغم أشعة الحب المذيبة - من جليدُ !
في وحشة المنفى البعيدُ
في وحشة المنفى البعيدُ

*

٢٥- مذكرات رجل مجهول

٨ نيسان

أنا عامل ، أدعى « سعيد »

من الجنوب

أبوأى ماتا فى طريقهما إلى قبر الحسين

وكان عمري آنذاك

سنتين - ما أقسى الحياة

وأبشع الليل الطويل

والموت فى الريف العراقى الحزين

وكان جدى لا يزال

كالوكب الخاوى ، على قيد الحياة

١٣ مايس

أعرفت معنى أن تكون ؟

متسولاً ، عريان ، فى أرجاء عالمنا الكبير !
وذقت طعم اليتيم مثلى والضياع ؟
أعرفت معنى أن تكون ؟
لصاً تطارده الظلال
والخوف عبر مقابر الريف الحزين !

١٦ حزينان

إنى لأحجل أن أعرى ، هكذا بؤسى ، أمام الآخرين
وأن أرى متسولاً ، عريان ، فى أرجاء عالمنا الكبير
وأن أمرغ ذكرياتى فى التراب
فنحن ، يا مولاي ، قوم طيبون
بسطاء ، يمنعنا الحياء من الوقوف
أبدأ على أبواب قصرك جائعين

١٣ تموز

ومات جدى ، كالغراب ، مع الخريف

كالجرذ ، كالصرصور ، مات مع الخريف
فدفنته في ظل نخلتنا وباركت الحياة
فنحن ، يا مولاي ، نحن الكادحين
ننسى ، كما تنسى بأنك دودة في حقل عالمنا الكبير

١٥ آب

وهجرت قريتنا ، وأمى الأرض تحلم بالربيع
ومدافع الحرب الأخيرة ، لم تزل تعوى ، هناك
ككلاب صيدك لم تزل مولاي تعوى في الصقيع
وكان عمري آنذاك
عشرين عام
ومدافع الحرب الأخيرة لم تزل . . عشرين عام
مولاي . . . ا تعوى في الصقيع

٢٩ أيلول

مارلت خادمك المطيع
لكنه علم الكتاب

وما يُثير برأس أمثالى من الهوس الغريبُ
ويقظة العملاق فى جسدى الكئيبُ
وشعورى الطاغى ، بأنى فى يديك ذبابة تدمى ،
وأنت عنكبوتُ
وعصرنا الذهبى ، عصر الكادحينُ
عصر المصانع والحقولُ
ما زال يُغرينى ، بقتلك أيها القرد الخليعُ

٣٠ تشرين الأول

مولاي ! أمثالى من البسطاء لا يتمردون
لأنهم لا يعملونُ
بأن أمثالى لهم حق الحياة
وحق تقرير المصيرُ
وأن فى أطراف كوكبنا الحزينُ
تسيل أنهار الدماءُ
من أجل إنسان الغد الآتى السعيدُ

من أجلنا ، مولاي ، أنهار الدماء
تسيل في أطراف كوكبنا الحزين

١٩ تشرين الثاني

الليل في بغداد ، والدم والظلالُ
أبدًا تطاردني كأني لا أراهُ
ظمآن عبر مقابر الريف البعيدُ
وكأن إنسان الغد الآتي السعيدُ
إنسان عالمنا الجديدُ
مولاي ! يُولد في المصانع والحقولُ

*

٢٦- الأمير السعيد

... وأدرك الصباح ، شهر رادُ

فسكتت وعادُ

إلى نفس الحزن ، والشعور بالضيق

وأنت في حديقتي تسيرُ

يا سيدى الأمير !

منفرداً ، سعيد

تحلم بالأميرة الصغيرة الحسنة

في قصرها الوردى ، في أرجوحه الضياء

وهي تغنى أغنيات الهجر واللقاء

يا فارس الضبابُ

عرج على قصرى فى السحاب

إنى هنا ، وحيدة ، فى الباب

من زهر الليمون واللباب

ضفرت إكليلاً لك ، الغداة

أموت يا فارسي الصغير

إن لم تعد إليّ ، يا فراشة تطير

في حلمي يا حبي الأخير

وأنت لا تغدو ولا تروح

كأنك التمثال ، لا تبوح

بما وراء الصمت من آفاق

يخاف من مجهولها العشاق

*

وهكذا ؛ يا أيها الأمير

يحترق القلب ، ولا يبقى سوى الرماد

وأدرك الصباح شهر زاد

فسكتت وعاد

إلى نفس الحزن ، والشعور بالضياء

وأنت في حديقتي تسير

تحلم بالنافورة البيضاء

وبالعصافير وبالندير
فى ليلة مقمرة خضراء
ولا ترى وجهى الذى شوهه البكاء
وقلبى الكسير
يسألك الرحمة والغفران
لأننى أحببت - والله على غرامنا شهيد
والأرض والإنسان -
وصيفة الأميرة الحسنة

*

حكائتى ، يا أيها الصغار
تمت ، وفى ليلتنا المقبلة القمر
أروى لكم حكاية أخرى عن الصياد والعنقاء



٢٧- مدينتى والفجر

مدينتى استباحها العجرُ

مدينتى أهلكها الضجر

مدينتى ، القمر

يخاف من بيوتها المنفوخة البطون

يخاف من عيون

حاكمها الشريرُ

الميت الضمير

لكنه يحب فى أحيائها الفقيرة السوداء

صبية عمياء ا

*

مدينتى الحزينة الصماء

تخاف من حاكمها الشريرُ

الميت الضمير

لكنما القمر

يحب في أحيائها الفقيرة السوداء

صبية عمياء

تؤمن بالفجر وبالإِنسان

وترفض الإِحسان

من عاشقٍ فقير

*

٢٨- رسالة حب إلى زوجتي

عيناك من منفى إلى منفى تصبان الحريق

يا أخت روحى ، فى عيوني ، فى فضاء

صحراء حبي ، فى عميق

جرحى ، الحريق

يا أخت روحى ، يا غرامى ، يا نداء

شعبى وأحلامى وبيتى ، يا عبير

غابات (کردستان) فى فجر مطير

عيناك قنديلان من ذهب ونار

حمامتى ! ذهب ونار

وجلنار

يتوهجان ، الليل ، فى منفاى

فى خضر الدروب

وفى ينابيع الجبال

وفى سهوب

وطنى البعيد

حيث الربيع يموت محترق الشفاه

عريان ، والأطفال فى أوراده يتدثرون

والخبز يُغمس بالدموع

وحيث آلاف الجباه

للمشمس ترفع فى تحد وانتصار

حمامتى ، يا أم طفلى ، فى انتصار

*

وإليك غنيت الضحى والليل والغد والربيع

وهتفت : يا وطنى

لعينها أجوع

ولعين شعبى العامل ، الفلاح ، منتصراً أموت

بيروت - ١٠ آذار ١٩٥٥

*

٢٩- الأرض الطيبة

وفى قرىتى ، كان أطفالنا
يغنون للأرض غبّ المطر
وكان الربيع يهز الحياة
بساعدته فى دروب القمر

*

أيا قطرة من عبير
ويا وترأ من حرير
على سفح «حميرين» يا فتننى^(١)
ومعبودتى !
ليالى الشتاء الحزين
وصيحات أطفالك الشاحبين
وراء السحاب

(١) حميرين : من جبال شمال العراق .

حفاة ، عراة
تذكرنى بعهود السراب
بعين أبى المطفأة
بطيف امرأة
مجللة بالسواد
وراء حقول الرماد
تذكرنى بسيول الجياح
وهم ينبشون التراب
تذكرنى بالمطر
يشير الفرع
مع الفجر ، فى غابه السنديان
فترقص أكواخنا فى الضباب
ويرقص حتى الحجر
لوقع المطر
مع الفجر ، فى غابه السنديان

*

وفى قريتى ، كان أطفالنا
يغنون للأرض غبّ المطر
وكان الربيع يهز الحياة
بمساعده فى دروب القمر



٣٠- الموت فى الظهيرة

إلى العربى بن مهيدى الزعيم الوطنى الجزائرى الذى قتله
البرابرة الفرنسيون فى زنزانتة فى السجن

قمرٌ أسودٌ فى نافذة السجن ، وليلٌ

وحمامات وقرآن وطفلٌ

أخضر العينين يتلو

سورة «النصر» وفلٌ

من حقول النور ، من أفق جديدٍ

قطفته يد قديس شهيد

يد قديس وثائر

ولدته فى ليالى بعثها شمس الجزائر

ولدته الريح والأرض وأشواق الطفولة

وعذابات ربيع فى خميلة

وانتصارات وحمى وبطولة

وحمامات وقرآن وليل
صامت يسمح عن كفيه آثار الجريمة
قمر أسود
آثار الجريمة
وعلى الجدران ظل
يتدلى رأسه ، يسقط ثلج
فوقه عينيه وترب ، وجنادل
فوق عيني ذلك الطفل المناضل

*

كان في نافذة السجن مع العصفور يحلم
كان مثلى يتألم
كان سرّاً مغلقاً لا يتكلم
كان يعلم :
أنه لا بد هالك
وستبقى بعده الشمس هنالك
في ليالي بعثها شمس الجزائر
تلد الثائر في أعقاب ثائر

٣١- العاصفة

لن تقتلونى أيها الأوغاد

لن تحرمونى

من ضياء الشمس

والإنشاد

لن تنصبوا الأعواد

للحب ، للشاعر ، للأوراد

لن تستبيحوا قصر أحلامى

ولن تخوفوا الأطفال بالأصفاد

لن تسرقوا خزائن الفن

ولن تستعبدوا بغداد

لن تجدوا

يا أيها الفاشست

فى انتظاركم

إِلا طَبول الموت والرماد

مدينتي

تفتح للشمس ذراعيها

فعودوا !

أيها الأوغاد

بغداد - ١٩ - ٥ - ١٩٥٩

*

٣٢- فارس الحزن

عاد من عالمه الموحش مقروراً

إلى وحشة سجنى

للصوص الشعر

للموتى ، يغنى

للسكارى

آه يا برد الصحارى

لا تدعنى

للمالك أغنى

آه يا قيثارة الثلج

ويا فارس حزنى

لا تدعنى

مثل عصفور على الأبواب أهرم

مثل ينبوع مسمم

مثل منجم

أنا من أعماق سجنى

أوقظ الإنسان فى قلبك

يا فارس حزنى

أوقظ الحب

الذى داسته أقدام الغزاة

أشعل النيران فى ليل حياتى

آه بارك كلماتى

لا تدعنى

مثل شحاذ على الأبواب فى الليل أغنى

لا تدعنى فى الصقيع

تأكل الديدان والبرد ربيعى

إنه الإنسان فى منتصف الليل يغنى

إنه صوتك يدعونى

أيا فارسى حزنى

القاهرة ٧/٨/١٩٥٧

٣٣- كلمات لا تموت

كلماتى

لن تهزم

كلماتى

لن تهزم

كلماتى

لن تصدأ

كلماتى فى المرفأ

تنتظر الإبحار

يا قلق الأسفار

هبنى قيثارة

هبنى نؤارة

فأنا أنتظر المد لأرحل

يا منديلاً

بالدمع مبلل
وأنا أبصر
وسمائي تمطر
عبر الظلمات
أحزان الفقراء
وهمو يكون
تحت الشرفات
في المدن المقهورة
في المدن المقرورة
يا قلق الأسفار
كلماتي
أرهار
لن تذبل
فلنرحل ا
فسيأتي شاعر
من بعدى

في باقة ورد
في مشعل
يقتحم الأسوار
ويضيء الأنوار
وسيصنع من كلماتي
من حبر دواتي
مدناً وحدائق
ونجوماً ومطارق

دمشق - ٢٥ - ٢ - ١٩٥٨

*

٣٤- أغنية المحكوم بالحب

كان يدمدم
إفتح يا سمس !
إفتح لى قلبك
وامنحنى حبك
فأنا جائع
وأنا ضائع
فى برد الطرقات
فى ليل الأموات
صدري بركان خامد
ولسانى حجر هامد
فافتح لى قلبك
وامنحنى حبك
يا شمس الفقراء

*

عصفور من نار

أيقظني

طار

عبر الأسوار

ستالينو - ١٥ - ١ - ١٩٦٠

*

٣٥- الغراب

ما لى أراك تُقَلِّبُ الصفحات
ملتهب الجبين
عينك غارقتان فى صحراء آبار الحروف
وفى عيون الميتين
حبرُ الوصايا العشر جفَّ
محا اليقين
حرفُ غرابٍ ، ظل ينعب فى الجرائدِ
فى بيوت الضائعين
ويقضُ فى ليل المدينة مضجع الصمت الحزين
هُمُ يا صديقى
أطعموه لحومهم متطوعين
صبغوا به الجدرانَ
ناموا حوله متثلجين
طافوا به الدنيا على أقدامهم متسولين

بنعيبه الدامى بنوا أبراج بابل
واستباحوا الكادحين
سرقوا الملوك المفلسين
مسخوا شعارات الرجال الطيبين
وقفوا على بوابة الليل الطويل مهومين
نطحوا الحوائط
سودوا الصفحات
عادوا خائبين
ناروا مع الثيران فى الأرض الخراب مكبلين
نهبوا ربيع الآخرين
جمعوا الطوابع والكلاب
وزيفوا صيحات فجر المتعبين
وطبلوا للتافهين
أنا لا أخاف الموت
لكنى أخاف الموت بالمجان
باسم خرابهم هذا اللعين

موسكو - ٢٠ - ٩ - ١٩٦٢

٣٦- لماذا نحن فى المنفى ؟

«اللاجئون يسألون»

لماذا نحن فى صمتٍ

نموتُ

وكان لى بيتى

وكانت لى

وها أنتِ

بلا قلبٍ ، بلا صوت

تنوحين ، وها أنتِ

لماذا نحن فى المنفى

نموتُ

نموت فى صمتٍ

لماذا نحن لا نبكى

على النار ،

على الشوكِ

مشينا

ومشى شعبى

لماذا نحن يا ربى

بلا وطنٍ ، بلا حبٍّ

نموتُ

نموتُ فى رعبٍ

لماذا نحن فى المنفى

لماذا نحن يا ربى ؟

موسكو - ٢٠ - ٥ - ١٩٦٠

*

٣٧- إلى جواد سليم

-١-

النار في الرماد
والموت في بغداد
ونشوة اللون وحزن الصمت والأبعاد
والقلق اللاهث والحمى التي تقصف في ربيعها
الأوراد
تشعل في الخطوط والألوان والسواد
حرائق الليل التي لا تنطفئ
حرائق الأعياد
كانت ربيعاً أسوداً
طفولة ضائعة الميلاد
لم تُطق الرقاد
توهجت عبر جدار المستحيل

وغد الحصاد

مَنْ أطفأ الشموعَ

مَنْ مزقَ في سكينه الفؤاد

مَنْ نخبأ البذور في الصقيع

والدموعَ في قبعة الحداد

الشاهد القابع في الظل

تدلى رأسه

وماد

-٢-

النهرُ

نهر الموت ضلّ دربه

وابتعلته ظلمة الغابات

الشمسُ

شمس الليل عبر حائط الأموات

تشرق في الواحاتِ

واللوحات

يا نخلة صامدة في غمرة المأساة
والملح والعقم الذي يصنع في صحرائنا العاهات
يا ساحل الآهات
الشاهد القابع في الظل
تدلى رأسه
ومات

-٣-

الموت في الميلاد
والخريف في الربيع
والماء في السراب
والبدور في الصقيع

-٤-

الكلمات نزلت دماً على الكتاب
توهجت وانطفأت
وغابت

حضورها - الكلمات مطهر العذاب -

تكذبت
وأنت في الضباب
تفتح للشمس طريقاً
تفتح الأبواب
يا إخوتى ادخلوا ، قميصُ الليل ، مبتلٌ ويا أحباب
حرائق الشباب في زماننا البخيل هذا
تصنع العجائب

موسكو - ١٩٦٢

*

٣٨- المغنى والقمر

-١-

رأيتہ يلعب بالقلوب والياقوت

-٢-

رأيتہ يموت

-٣-

قميصه ملطخ بالتوت

وخنجر في قلبه

وخيطة عنكبوت

يلتف حول نايه المحطم الصموت

وقمر أخضر في عيونه

يغيب عبر شرفات الليل والبيوت

وهو على قارعة الطريق في سكينه يموت

موسكو - ٢٦ - ١ - ١٩٦١

٣٩- الصحف الصفراء

الصحف الصفراء فى زماننا
توزع الألقاب
تلثم أيدي القاتلين
تمسح الأعتاب
تمنح أشباه الرجال العور والأذنان
صكوك غفران بلا حساب
تطلق غربان الحروف السود
تحثو أوجه القراء بالتراب
يطنن فى سطورها البليدة الذباب
تنبح فى أنهارها الكلاب
أبطالها مزيفو النقود والتاريخ والأفكار
ولاعبو الحبال والمهرجون كاتمو الأسرار
وجوقة الأوغاد والأشرار

رأيتهم في كل أرض حبلت بالرعد والأمطار

تحت نعال الكادحين ويد الثوار

منكسى الرايات

في عيونهم مذلة وعار

ينتظرون

أن ماء البحر لن يغسل هذا العار

*

٤٠- النبوة

قلتُ لكم - لكنكم أشحتمُ الوجوه
عالمكم مزيفٌ وحبكم مشبوه
يا أيها الأبواق ، يا بهائماً في السوق
قلتُ لكم عليكم مسروق
لكنكم نفختمُ في البوق
قلتُ لكم
أحس في الهواء
رائحةَ الطوفان والوباء
لكنكم شهرتمُ السيوف في وجهي
وأسرجتم خيول الصلف العرجاء
نفختمُ أوداجكم
يا أيها الضفادع العمياء
شربتمُ البحار

وانحسر التيار
سرقتم كنوزى المخبوءة
لكنكم لم تسمعوا بقية النبوءة
وها أنا فى السوق
أضرب فى السياط ، حافى القدمين
عارياً مشنوق

١٩٦٣

*

٤١- إلى عبد الناصر الإنسان

أيا جيل الهزيمة . . هذه الثورة
ستمحو عاركم وتزحزح الصخرة
وتنزع عنكم القشرة
وتفتح في قفار حياتكم رهرة
وتنبت ، أيها الجوف الصغار ، برأسكم فكرة
سيغسل برقها هذى الوجه وهذه النظرة
ستصبح هذه الحسرة
جسوراً وقناديل
زهوراً ومناديل
ويصبح باطل الحزن أباطيل
وتزهر في فم الشعب المواويل
ستهوى تحت أقدامك ، يا جيلي ، التماثيل
وتسقط عن رؤوس السادة التيجان

كأوراق الخريف ستسقط التيجان
وتجرفها رياح الكادحين لهوّة النسيان
فهذا البرق لا يكذب
وهذا النهر لا ينضب
وهذا الثائر الإنسان عبر سنابل القمح
يهز سلاسل الريح
مع المطر
مع التاريخ والقدر
ويفتح للربيع الباب
فيا شعراء فجر الثورة المنجاب
قصائدكم له ، لتكن بلا حُجّاب
فهذا المارد الثائر إنسان
يزحزح صخرة التاريخ ، يوقد شمعة في الليل للإنسان

القاهرة : ١٠-٣-١٩٦٥

*

٤٢- حسرة في بغداد

أبحثُ عن سحابة
خضراء ، عني تمسح الكآبة
تحملني
إلى برارى وطنى
إلى حقول السوسنِ
تمنحني
فراشةً ونجمة
وقطرةً بها أبل ظمأى وكلمة
فماءُ دجلةَ الحزين اعتكرا
وما جرى
إلا ليُغرق السدودَ والقرى
فمن ترى ؟
بمائه يغلسني

تحت ظلال نخلة يدفني
ببيت شعرٍ بعد ألفِ سنةٍ ينشدني
فوطني بعيدُ
وبيننا هذى الليالي السودُ
والحبر والأوراقُ
وحائطُ الأشواق
معرفةُ النعمان يا حديقة الذهبُ
الصيفُ جاء وذهبُ
وأنتِ تضحكين
لاهيةً ، بالرمل تلعبينُ
حطاً على شرفتك الغرابُ
وارتحل الأحباب
تفرقوا قبائلُ
وجفت الخمائل
وهاجرت مع الضحى العنادل
لم يبق إلى الموتُ في الأطلال والهيكل

لم يبقَ إلا الشعرُ في ذاكرة الأحقاب
وبعد ألف سنةٍ ستُنضجُ الأعناب
وتُملأ الأكواب
ويُبعث المغنى
فآه ثم آه يا صبايتى وحزنى

*

٤٣- لزومية

حزن بلا صوت وقيثارةُ
أرهفها ، قبل الأوان ، الشقاءُ
فاحترقت أوتارها فى يدي
وكان لى بها ومنها وقاء
« آه غدا من عرقِ نارٍ
ومهجة مولعة بارتقاء
ثوبى محتاجُ إلى غاسل
وليت قلبى مثله فى النقاء »
يا حافر البشر بأوجاعه
ومودعاً رحمته فى السقاء
وجاعلاً من كلماتى فما
يصيح فى ليلٍ بلا أصدقاء
عمق وعمق فغداً ينتهى
عذابك الأسود بعد اللقاء
خبزك مسموم فكل ما اشتيت
نفسك ، ولتنعم بطول البقاء

٤٤- العودة من بابل (من سيرة عمر الخيام)

- معجزة الإنسان أن يموت واقفاً ، وعيناه إلى النجوم
وأنفه مرفوع

إن مات أو أودت به حرائق الأعداء
وأن يضيء الليل وهو يتلقّ ضربات القدر الغشوم
وأن يكون سيّد المصير

مولايّ قال النجم لي ، وقال لي الغدير

من ههنا الإسكندر الكبير
مرّ على جواده منهزماً محموم

أيتها النجوم

بابل تحت خيمة الليل إلى الأبد

تعوى على أطلالها الذئاب

ويملاً التراب

عيونها الفارغة الحزينة

بابل تحت قدم الزمان
تنتظر البعث ، فيا عشتار
قومي ، املئي الجرار
وبللي شفاه هذا الأسد الجريح
وانتظري مع الذئاب ونواح الريح
ولتُنزلي الأمطار
في هذه الخرائب الكثيبة
- لكنما عشتار
ظلت على الجدار
مقطوعة اليدين ، يعلو وجهها التراب
والصمت والأعشاب
وحجراً أخرسَ في الخرائب الكثيبة
- أيتها الحبيبة ا
عودي إلى الأسطورة
سنبلةً ، شمساً بلا ظهيرة
امراًة من الدخان ، جرةً مكسورة

- تمؤز لن يعود للحياه

فآه ثم آه

بابل تحت قبة الليل ، بلا زاد ولا معاد

بلا حنوط ، ترتدى عباءة الرماد

صحتُ على أطلالها : عشتار !

فصاحت الأحجار

عشتار ، يا عشتار ، يا عشتار !

تصدّع الجدار

وغاب في الخرائب القمر

وانهمر المطر



٤٥- المدينة

وعندما تعرّت المدينة
رأيت في عيونها الحزينة
مبازل الساسة واللصوص والبياذق
رأيت في عيونها المشائق
تُنصب والسجون والمحارق
والحزن والضيق والدخان
رأيت في عيونها الإنسان
يُلصق مثل طابع البريد
في أيما شيء
رأيت الدم والجريمة
وعلب الكبريت والقديد
رأيت في عيونها الطفولة اليتيمة
ظائعة تبحث في المزابل
عن عظمة

عن قمر يموتُ
فوق جثث المنارل
رأيت إنسان الغد المعروض في واجهة المخارن
وقطع النقود والمداحن
مُجللاً بالحزن والسواد
مكبلاً يبصق في عيونه الشرطى
واللوطى
والقوَّاد
رأيت في عيونها الحزينة
حدائق الرماد
غارقة في الظل والسكينة

*

وعندما غطى المساء عُرْيَهَا
وخيم الصمتُ على بيوتها العمياء
تأوهت
وابتسمت رغم شحوب الداء
وأشرقت عيونها السوداء بالطيبه والصفاء

*

٤٦- قمر الطفولة

قمر الدموع على هضاب الليل غاب
والطفل والعصفور والخيط الذى ينسل من بابٍ لباب
يتلف حول مدينتى
حول الرقاب
وطنى يكلل رأسه تاجُ العذاب
والشوك والدم والضباب
قمر الطفولة فى التراب
عريان تنهش لحمه
عريان تأكله الكلاب
أواه يا وطنى
ويا طفلاً تمزقه الحراب
يا رورقاً يهتز فى ريح المغيب
ويا مناديل الغياب

إني أرى عبر المذابح والخراب
قاعَ البحيرة والسنابل والربيع على الهضاب
وأرى الذئاب على طريق الشمس تفترس الذئاب
وأرى المسوخَ يُذيبها الفجر العظيمُ
أرى قناديل الشباب
وأراكِ يا بغداد شامخة القباب
وأراكِ يا قمر الطفولة مشرقاً في كل باب

*

٤٧- إلى شهيد آخر

غداً إذا غرد في بستاننا عصفور
وفتحت رنقة أجفانها للنور
وسالت العطور
على قبور شهداء الوطن المقهور
سنلتقى على تخوم العالم المسحور
سنعبر الجسور
معاً نغنى
وإلى بلادنا نظير
في فجر يوم أرق مطير
معاً سنصطاد الفراشات
معاً سنقطف الزهور
غداً إذا غرد في بستاننا عصفور
واندك هذا السور

*

٤٨- كلمات إلى الحجر

١- المستحيل

يأتى مع الفجر ولا يأتى
حبي الذى أغرق فى الصمت
يحوم حول السور مستجدياً
تنهشه مخالب الموت
حتى إذا ما اليأس أودى به
صاح من الأعماق يا أنت
سفينة الأقدار لم تنتظر
وسندبادُ الريح لم يأت
من أين أقبلت ؟ وآبارنا
مسمومة من أين أقبلت ؟
لعلنى كنت على موعد
من قبل أن أُولد أو كنت

الحب أعمى وأنا ههنا
أكتب فوق الماء ما قُلْتُ
ربيعنا أقبلَ من رحلة الـ . . .
. . . ضياع والأحزان والمقتِ
تسبحُ بالنور فراشاته
فلتفتحي الأبوابَ يا أختِ
حييتي من قبل أن تُولدى
أحببتُ عينيكِ
فَمَنْ أَنْتِ ؟

*

٤٩- الأميرة والفجرى

-١-

أدخل فى عينيك
تخرجين من فمى
على جبينك الناصع أستيقظ
فى دمي تنامين على سرير أمطار صحارى التتر الحمراء
مجنوناً أناديك بكل صرخات العالم الوحشية السوداء واللغات
كل وجع العاشق فى قاع جحيم المدن
العاشق والولي والشهيد
فى دمي تنامين
أنا أدخل فى عينيك
أهوى ميتاً فوق سرير النار
أستلقى على صدرك فى الحلم
تنامين على الأهداب
مجنوناً أناديك

على صدرك أستلقى
على صياح ديك الفجر فى مملكة الله وفى مملكة السحر وفى
أصقاعها أواصل الرحيل

-٢-

مهاجراً يموت
حبنى على أسوار هذا الذهب الكامن فى عينيك
فى صمتك ، فى صوتك ، فى جبينك
الملتقى المسحور

-٣-

حبنى أغنية كتبتها ساحرة فوق معابد عشتار
فى فجر الإنسان الأول قبل الألف الثالث من آذار
بعد الطوفان وقبل النفى إلى الصحراء

-٤-

من صحراء التتر الحمراء

من باريس إلى صنعاء
كانت عربات الغجر السعداء
تمضي حاملةً مولاتي وأنا خلف العربات
عطشى يقتلنى ، جوعى ، فأضم غزالة
شمس الواحات
وأضم العالم فى كلمات

-٥-

مجنوناً كنت أنادى باسمك كل الأسماء
كل المعبودات وكل زهور الغابات وكل الرباب
كل نساء العالم فى كتب التاريخ وفى كل اللوحات
كل حبيبات الشعراء
مجنوناً كنت أنادى الله

-٦-

أعود من مملكة الله ومن مملكة السحر على أجنحة النهار

مجنوناً أناديك

بكل صرخات العالم الوحشية السوداء واللغات
كل وجع الأرض إلى الأمطار والشموس في ليل شتاء مدن
العالم

مجنوناً أناديك

وفي بيروت أو بغداد أو باريس
عن عينيك عن وجهك في قصائد الشعر وفي واجهة المخازن
الخضراء

في شواطئ البحار والغابات
عن عينيك عن وجهك في اللوحات والرسوم

مجنوناً أناديك

على جبينك الناصع أستيظ في منتصف النهار
أستلقى على صدرك

في أصقاع عينيك

وفي سمائها أواصل الرحيل

-٧-

حبي أكبر مني
من هذا العالم
فالعشاق الفقراء
نصبوني ملكاً للرؤيا
وإماماً للغربة والمنفى

-٨-

باسمك ، مجنوناً ، كنت أنادى الله

*

٥٠- إليها

-١-

عشقتك في المنفى وأنت صبية
وكان هوانا في الجوانح يكبر
فلما التقينا بعد نأيٍ وغربةٍ
رجعنا إلى أرض الطفولة نبحر
كأنا ولدنا من جسدٍ بكوكبٍ
هو الوطن الموعود أو هو أبعد
أقول لعينيك اللتين تلاقتا
بعيني أكان الأمس مرّاً أو الغد
لقد أقبلت كل العصور وكل ما
هفوت له يوماً وما كنت أضمر
بخضرة عينيك السماء تلونت
وياحت بما تُخفي الطبيعة أنهر

وقال مغنيها هو الحب فاحترق
فنارك بعد اليوم هيهات تخمد

-٢-

حلفتُ بالمعابد المكسوة القباب بالذهب
بالحروف والغربة والسفر
أن أرحل الليلة نحو مدن الحلم
وأبنى لك أهراماً علي الفراتِ
في نار عصور البعث والثورة والأمل

-٣-

العشاق الصغار
يمحون أسماء حبيباتهم ويبقون على أسم الأخيرة منهن فقط
أما أنا فلقد أبقيت عليهن ليخدمنك
وإذا أمرت فسأطردهن في الحال

-٤-

حتمى أمرى الحرف
قدرى ، نارى الحرف
وطنى ، منفاى ، نورى الحرف
فلتقتبس الحرف ، كما تقتبس النار من النار
أنت السيد والمولى
وأنا بك أولى
فإذا أرسلتك تنظر فى أمر الحرف
فلتُخرج ألفاً من باء
باء من باء
ألفاً من ألف
مولاتى خامرها الخوف
فإذا جاء الليل
فلتفتح أبواب القلب
ولتطلق عبدك من أسر الحرف
فأنا خادماً مولاتى
عاشقها
تابعها

فى الوطن - المنفى

-٥-

قلبي هرم خوف الكبير
أراك تضطجعين في مقصورته الملكية
ماسة مشعة منذ آلاف السنين
وأنا عبدك أقبل يدك
وأحرس كنورك الإلهية
وأرعى الغزلان في حدائق قصورك
الغارقة في النور

-٦-

خيوط الدم الذي ينزف من قلبي
يمتد من باريس إلى عتبة بيتك

-٧-

لقد عدت إلى الوطن
لكي أحبك

*

٥١- صورة جانبية لعاشق الدب الأكبر

-١-

كان إذا ما عاد من أسفاره
أراه تحت الثلج
فى الليل
يسير
حاسر الرأس ، وحيداً
فاذا ناديتُهُ
أجاب فى ابتسامة غامضة
مختفياً فى الليل والريح
وفى داخله ، مواصلاً عذابه اليومى والرحيل
للبحث عن قارة حب طمرت
تحت نديف الثلج والعويل
متنفذاً على رصيف الشارع الأبيض فى معطفه الطويل
كأن ألف سنة مرت عليه وهو فى داخله

محترقاً يرحل أو يعود
منتظراً علامةً جديدةً تظهر في غياهب السماء
أو إشارة تلمع في المجهول

-٢-

كان شهاباً دائماً
يعود من أسفاره محترقاً مقرر

-٣-

كان إذا ما عاد : لا أعرف من أين أتى
وأي كان ذلك المسحور

-٤-

كنت أراه
فإذا ناديته ، أجاوب في ابتسامة غامضة
مختفياً في النور والديجور



٥٢- قداس جنازى إلى

نيويورك

-١-

وحش حجرى يتربع فوق الفولاذ المسنون ، بعين واحدة
يرنو لليل المثقوب بطلقات رصاص ، ينفث فى وجه الفجر
دخاناً ، ينشب فى لحم الساعات مخالفه ، يتمطى فوق رغاء
الأصوات المسحوقة ، تغلى فى داخله أوساخ الطوفان
البشرى المهزوم ، بعين أعماها النور يحدق فى طقس
الروتين اليومى ، وجدول أعمال النمل ، وفوق فداني الخمر
الفارغة السوداء
يتناوم سكران
تملؤه أحلام اليقظة ، منتفخاً ، جوعان .

-٢-

كانت فى صندوق قمامة ليلة تثقبه صبيحات الأطفال

تبحث عن حكماء اليونان السبعة أونجم الميلاد
«اقتربى منى ا » قال لها ، مكسور القلب ونام

-٣-

موسيقى تعلن عن «عامورة» فى القرن العشرين
و«سادوم»

المجهول المعلوم
للأجساد البشرية فى علب الليل المهزوم

-٤-

فى FIFTH AVENUE ينطفئ النور

-٥-

TELL ME WHAT WAS THAT ?

-٦-

فى نقطة ضوء « والت ويتمن »

يبحث عن أمريكا في أمريكا . . .

من يبكى بين مخالب هذا الوحش الضاري ، مَنْ ؟

-٧-

الأبيض والأسود

الأحمر والأصفر

طفح جلدي ودمامل فوق جبين الوجع الأكبر

-٨-

جنرالات وملوك مأجورون

من كل القارات ، برسم البيع ، هنا ، في أفلام

الجنس الممنوع وفي إعلانات الصابون

-٩-

ادفع دولاراً ، تقتل إنساناً ، باسم القانون

-١٠-

لمغنى الشارع فى «هارلم»
وجهٌ عجورٌ ، خشبى ، محزور ، نائمٌ
تحت رماد الصيف الزنجى الراحل

-١١-

سيدتى ، تبحث عني ، وأنا أبحث عنها فى الطوفان
ضللت قدمي فى أبراج الفولاذ المسنون وضاع العنوان

-١٢-

الحب دخان

-١٣-

تذرف دمعاً فسفورياً ، عين الوحش الرابض قرب البحر ،
يعدّ نقود الصرافين ويقرأ طالعه فى سفر الرؤيا
إعصار دموى يطفو فوق الكرة الأرضية ، مصحوباً بالهزات

وبالرعد ، فيصبح هذا الليل نهاراً والأسود أبيض
والأصفر ، أحمر
والأبيض أسود
والأحمر أصفر ؛
وطيور من نار وحديد ، تستأصل هذا الوجع الأكبر

-١٤-

أرثى للطوفان البشرى المهزوم وكهان الهيكل

٩ - ٣ - ١٩٧٧

*

٥٣- العراء

-١-

يعوى فى داخله ذئب ، مفجوعاً بأفول النجم القطبى وموت
الفجر على أرصفة المدن الأرضية يطعن عينيه الضوء
الخابى فى نافذة ، يسمع وقع خطاها راحلة ، تذرّو الريح
كرات الثلج النارية فى عرى الشارع . ها أنت وحيد ،
مملوء بالغربة فى هذا العالم ، تخرج ليلاً من باب الفجر ،
لتبحث عمن فى النوم رأيت ، تحاول أن تجتار الأفق
وحيداً ، بكوايس نهار مات تعود ، لتبدأ من حيث بدأت ،
لترفع هذى الصخرة نحو القمة ، فى كل صباح تشنق
نفسك ، لكن العنقاء بنار الشعر تعود لتنفض عنك رماد
الأشياء ، فحبك يبقّى الكنز المرصود ، وتبقى أنت بشوق
ملتهب ، منتظراً ، مسكوناً بالغربة ، تنزف منك الكلمات ،
أميرا للمنفى ، يغتصب العالم بالكلمات .

-٢-

تذوق طعم الفتح وحيداً ، تجتاز الأفق بنار الشعر الزرقاء
تتقمص روح الأجداد

تعبر نهرا بعد البحر ، وبحرا بعد الصحراء
سيفك ومض البرق ، وخيمتك الغابات العذراء

-٣-

ما بين الرهبة والرغبة
ترحل نحو الداخل ، مسكوناً بالغربة

-٤-

العالم منفى فى داخل منفى والناس رهائن
ينصب بعض منهم للبعض كمائن
فى هذا الشبر من الأرض وفى ذاك الصقع الشاسع

-٥-

ما بين الواقع والأسطورة
يتحدى الإنسان مصيره

-٦-

ما سيكون هو الكائن

-٧-

يطعن عينيه الضوء الخايب تحت الأعمدة الحمراء ، يقول
لها :

« حينئذ ! » فتجيب بحزن : « سأحبك حتى آخر يوم من عمري »
لكن الصحراء

تزحف نحو الأعمدة الحمراء
فتغطيها ، وتغطي صبيحات الريح المجنونة تحت الانقراض

-٨-

ما بين استغلال الإنسان
لأنخيه الإنسان
وحريق الكلمات

تولد في رحم الأرض الثورات

علماء الآثار اكتشفوا فى صحراء الحب قناع الفاتح فى
صندوق ذهبى وتعاوید بخط كوفى بللها دمع وقناع امرأة من
عاج كُتبت فى أسفله بضعة أبيات من شعر ، كان البيت
الأول منها ممحوا ، ورماد حريق بالقرب من الوجه يشير بأن
لصوص الآثار انتهبوا شيئا ما ، كان الموت يحدق فى مرآة
صدئت فوق الحائط ويسرّح شعر السنوات الضوئية فى هذا
الركن المعزول من العالم ، ما بين الواقع والأسطورة ،
يرحل نحو الداخل ، مسكوناً بالغربة : هذا العصر الدامى ،
ها أنت أمام مجاعات التاريخ إلى الحب ، تعيد إلى الشعر
براءته وإلى لغة الرفض بكارتها خارج لعبة موروث الكتب
الصفراء ، تحاول أن تلوى أعناق الكلمات بقلب حطّمه
البحث عن الحب الأعظم فى شارات عبور المدن الأرضية
بعد الطوفان وفى صيحات البشر المحرومين وفى سحر
عيون المعبودات

ها أنت تدقُّ على أبواب العصر الآتى بالكلمات

٥٤- الناي

الناي يبكي : إنها الغاباتُ ، تبحثُ ، سيدى ،
عن قوتها فى باطن الأرض العميقُ
الناي يبكى : إنها ريحُ الخريفُ
الناي يبكي : إنها الأبراج داهمها الحريقُ
الناي : إنسانٌ يُقاومُ موته
موتَ الطبيعةِ والفصولِ

*

٥٥- الينابيع

سأَموتُ حُباً تحت خيمتها

أعود إلى الطفولة

راعياً غنم القبيلة

مثل هرون الرشيد

ملكاً وسلطاناً

على أسراب مملكة القطا

وقبائل الأمطار في كل الفصول

ذهبي : ينابيع الحياة

وثروتي : قلق الوجود

*

٥٦- ورقة أخرى

قالت : سأشقه

بليل ضفائري

مهما أطلت الانتظار

وأعيده حجراً على درب القوافل

سدره / شيحاً وقيصوماً

وزهرة جلنار

قالت : سأغرس رمحه المسموم

في عينيه

حتى لا يرى ضوء النهار

وبكت و طال بها الوقوف على الطلول الباليات

واستنجدت بالساحرات

لتعيده حياً ،

ولكن الرياح السافيات

عفت على آثار أقدام الطريد

وأدرك الليل النهار

١٩٨٧ - ١١ - ٢٣

*

٥٧- نهر المجرة

فى نهر مجرة هذا الكون الشعرى
المسكون بروح الأسلاف
كنا مثل فراخ لم تنبت ، بعد ، قوادمها
نسبح ضد التيار
ونحاول ليلَ نهار
أن نصطاد الثور الأسطورى
لنذبحه قرباناً لإله الشعر المتجلى
فى غبش الأسحار
كنا نتحدى
أزمنة شاخت وعصوراً تنهار
بصواعق من نار
كنا أطفالاً
لكنّا فى الحب كبار

٥٨- مترو باريس

أشباحٌ عددَ الرملِ
أنهكها المعنى واللا معنى فى حمى البحثِ
ودوارُ الرفضِ
بعضٌ منها ينزل أو يصعد من جوفِ الأرضِ
أملًا فى البعثِ
منها : مَنْ يبكى / يترنجح / يضحكُ
يعوى مثل الذئبِ
ويُخفى بجريدته وجهًا متعبُ
ويؤدعُ ضوءَ نهارٍ يرحلُ
يستبدل ذاكرةَ الأمسِ بأخرى
ويخاطب إنسانًا مجهولًا فى الغيبِ
مَنْ يهذى / يتضور جوعًا / يتأبطُ
كتبًا لم تُقرأ

من يعزف لحناً / يشحذُ
يُلقي شعراً ويخلق في المطلقُ
مَنْ يَرجو شيئاً لا يتحققُ
وتظل الأشباح الأرضية تنزل أو تصعدُ
في النفق الأسود

١٩٨٦

*

٥٩- راقصة الدخان

راقصةٌ من بحر الصينُ
ترقص في صندوقٍ خزفي
تُغمضُ عينيها
تبكي
ممسكةٌ في يدها عصفورُ
ترفعهُ قرباناً للنورُ
تقطف في يدها الأخرى زهرةً لورٍ
تخفيها في قاع الصندوق
تسقط مثل النجمة في بحر الصينُ
تتلاشى مثل دخانٍ في الريحُ

١٩٨٤

*

١٥٣

٦٠- إلى نجيب محفوظ

ثروة فوق النيل ؟

أم وجع القلب الإنساني المخذول ؟

وهزيمة جيل ؟

أم نار أطفأها في العوامة

أمر يحتمل التأويل ؟

١٩٨٤

*

٦١- بغداد

مهما طال حوارُ الأبعادُ

فستبقى بغداد

شمساً تتوهجُ

نبعاً يتجددُ

ناراً أزليةً

رؤيا كونية

لطفولة شاعرٍ

١٩٨٤

*

٦٢- اللقالق

تخط الرحال بأعلى الكنائس
أعلى المساجد
فوق القباب
تُجمَعُ عيدان أعشاشها
من هنا أو هناك
تبيض / تُفَخُّ / تفرد في الريح أجنحة
لتزق الفراخ
فإن ضوأت نجمة القطب فوق المدينة
ذارفة نورها في العراء
نما ريشها
واستطالت قوادمها في الهواء
تطير اللقالق عائدة
لبلاد الضباب
مخلفة صرخة في أعالي السماء

٦٣- الوجه

وجهك في المرأة : وجهان

فلا تكذبُ

فإن الله

يراك في المرأةُ

*

٦٤- الرجل المجهول

رجل من بين غبار السنوات

طرق الباب

حيّاني ، قلت له : « أهلاً ! »

لكن الرجل المجهول ، قبالة ، بابي ، مات

١٩٨٥

*

٦٥- الحصار

إلى خليل حاوى فى ذكراه

محجورةٌ : كل منافى الأرض والسجونُ

أقبية التعذيب والجنون

أقنعة المهرجينَ

وقنانى الخمر والسمومُ

مطاعم المدينة / الملاعق / الصحون

قصائد التفعيلة / العمود

محاكم التفتيش

تذاكر المسارح / الملاجىء / القبور

كينونة الحب / قباب النور

أضرحة الملوك

عواصم الخيانة / الاهوت

فأين يمضى شاعرٌ

نجا من الموتِ

لكى يموتُ

١٩٨٨

*

٦٦- حديث الحجر

حجرٌ ، قال لآخرُ :

لم أسعد بوجودى فى هذا السور العارى

فمكاني هو قصر السلطان

قال الآخر : يا هذا

محكوم بالموت عليك

سواء كنت هنا أم فى قصر السلطان

فغداً يهدم هذا القصرُ

وهذا السورُ

بأمر من حاشية السلطان

ليعيدوا اللعبة من أولها

ويعيدوا توزيع الأدوار

١٩٨٦-٥-٢٧

*

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	التصدير
١١	١- إلى إخوانى الشعراء
١٣	٢- أغنية من العراق إلى جمال عبد الناصر
١٥	٣- كلمات مبنحة إلى الكتاب المصريين .
١٧	٤- بورسعيد .
١٩	٥- قصيدتان إلى صلاح جاهين
٢٣	٦- بكائية إلى صلاح جاهين
٢٥	٧- برعم
٢٨	٨- لقاء
٣٢	٩- عيونك الخضر
٣٥	١٠- غيوم الربيع
٣٨	١١- أغنية
٤١	١٢- وكيف أظير
٤٣	١٣- من تراها
٤٥	١٤- أنا يا رماد

الصفحة

الموضوع

٤٦	١٥ - ظمآن
٤٧	١٦ - أحلام شاعر
٥٢	١٧ - سارق النار
٥٤	١٨ - ربح الجنوب
٥٧	١٩ - انتظار
٥٩	٢٠ - الأسير
٦١	٢١ - السجين المجهول
٦٣	٢٢ - ذكريات الطفولة
٦٦	٢٣ - تمت اللعبة
٦٨	٢٤ - فى المنفى
٧١	٢٥ - مذكرات رجل مجهول
٧٦	٢٦ - الأمير السعيد
٧٩	٢٧ - مدينتى والفجر
٨١	٢٨ - رسالة حب إلى زوجتى
٨٣	٢٩ - الأرض الطيبة
٨٦	٣٠ - الموت فى الظهيرة
٨٨	٣١ - العاصفة

الصفحة

الموضوع

٩٠	٣٢- فارس الحزن
٩٢	٣٣- كلمات لا تموت
٩٥	٣٤- أغنية المحكوم بالحب
٩٧	٣٥- الغراب
٩٩	٣٦- لماذا نحن في المنفى
١٠١	٣٧- إلى جواد سليم
١٠٥	٣٨- المغنى والقمر
١٠٦	٣٩- الصحف الصفراء
١٠٨	٤٠- النبوءة
١١٠	٤١- إلى عبد الناصر الإنسان
١١٢	٤٢- حسرة في بغداد
١١٥	٤٣- لزومية
١١٦	٤٤- العودة من بابل (من سيرة عمر الخيام)
١١٩	٤٥- المدينة
١٢١	٤٦- قمر الطفولة
١٢٣	٤٧- إلى شهيد آخر
١٢٤	٤٨- كلمات إلى الحجر

الصفحة

الموضوع

- | | |
|-----|------------------------------------|
| ١٢٦ | ٤٩- الأميرة والغجرى |
| ١٣١ | ٥٠- إليها |
| ١٣٥ | ٥١- صورة جانبية لعاشق الدب الأكبر |
| ١٣٧ | ٥٢- قداس جنائزى إلى نيويورك |
| ١٤٢ | ٥٣- العراء |
| ١٤٦ | ٥٤- الناي |
| ١٤٧ | ٥٥- الينابيع |
| ١٤٨ | ٥٦- ورقة أخرى |
| ١٥٠ | ٥٧- نهر المجرة |
| ١٥١ | ٥٨- مترو باريس |
| ١٥٣ | ٥٩- راقصته الدخان |
| ١٥٤ | ٦٠- إلى نجيب محفوظ |
| ١٥٥ | ٦١- بغداد |
| ١٥٦ | ٦٢- اللقالق |
| ١٥٧ | ٦٣- الوجه |
| ١٥٨ | ٦٤- الرجل المجهول |
| ١٥٩ | ٦٥- الحصار - إلى خليل حاوى فى ذكره |
| ١٦١ | ٦٦- حديث الحجر |

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٠/١٠٣٥٢

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 01 - 6750 - 9



هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» ..
وملذ سنوات طوال لم يلتفت الناس حول مشروع ثقافي
كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافي الضخم حتى
أصبح مشروعاتهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام،
واستجبتنا لهذا المطلب الجماهيري العزيز إيماناً منا
بأهمية الكتاب، وبالكلمة الجادة العميقة التي يحتويها، في
إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها
الحضاري العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى
الكتاب مصدراً هاماً وخالداً للثقافة في زمن الإبهارات
التكنولوجية المعاصرة .. وها نحن نحتفل ببدء العام
السابع من عمر هذه المكتبة التي أصدرت (١٧٠٠)
عنواناً هي أكثر من ٢٠ مليون نسخة، تحتضنها الأسرة
المصرية في عيونها وعقولها زاداً وتراثاً لا يبلى من أجل
حياة أفضل لهذه الأمة .. وما زلت أحلم بكتاب لكل مواطن
ومكتبة في كل بيت.

سعر النسخة

١٥٠ قرش

مكتبة الأسرة 2000
مهرجان القراءة للجميع

سوزان مبارك

